

مناظر وزخارف علبة معدنية من العصر القاجارى تضيف سمات جديدة لفن التصوير الإسلامى

"دراسة أثرية فنية"

د/ أهّاب حسنى

دكتور بكلية الآثار - جامعة أسوان

مقدمة

انبثق الفن الإسلامى -الذى يعد أحد أهم فروع فن التصوير الإسلامى- بمكوناته الجمالية والفكرية والروحية؛ ليهيّر أبصار المتلقين من الشرق والغرب بروعته وجماليته وأصالته شكله وخطابه، وقد جاء وليدا لثراء روحى وعلمى وفلسفى وفكرى اشتغل عليه الفنان المسلم بشكل عام والفنان القاجارى بشكل خاص الذى فهم الدين عقيدة وعبادة وقيما وسلوكا فترجم ذلك الفكر وجسده فنيا الى رؤية بصرية جمالية خالصة.

ان فلسفة الجماليات والحوّل البصرية الجديدة جاءت لانصهار المفاهيم الروحية بالعلمية وبالفكرية وبالاجتماعية فى مركب واحد، ولم يستطيع الفنان المسلم أن يبتكر الحلو الفكرية والتقنية المتفكّقة مع موقفه الجمالى لولا تفاعله مع الاكتشافات البصرية، حيث عبر الفنان عن جمال الكون من خلال عناصر ومفردات بصرية مختزلة استلهمها من مكونات الطبيعة مثل النباتات والحيوانات وغيرها⁽¹⁾؛ لذلك توصل الفنان إلى صياغة فنية جمالية وفلسفية فريدة لتلك العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية؛ لينقلنا نحو المعانى الدفينة على حد تعبير المؤرخ والباحث الجمالى "هنرى فوسيون" وتلك المعانى الدفينة التى أشار إليها فوسيون التى يصبو البحث فى خصائص الفن الإسلامى إلى ايجاد مفاتيح قراءة بصرية فاعلة لرصدها والكشف عنها بعمق لا تنحصر بالجوانب الروحية المتصلة بالدين الإسلامى فحسب، بل تتصل بما هو قدسى ودينوى فى حياه المسلم على السواء وتتطلب فى الوقت ذاته أدوات ومفاتيح بصرية خاصة؛ لقراءة العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية المنفذة على التحفة - موضوع الدراسة - أدوات تتبع من الفهم العميق للإسلام وصلته بالحياه، ثم ربط ذلك الفهم بثقافة وذائقة بصرية نافذة توصل المتلقى لتلك المعانى الدفينة⁽²⁾.

- (1) مازن حمدى عصفور: مفاتيح قراءة بصرية مقترحة لرصد المعانى الدفينة فى الفن الإسلامى "قيم الخير والمنفعة والجمال كما يعكسها السطح التجريدى الإسلامى نموذجا"، الفن فى الفكر الإسلامى، تحرير فتحى حسن ملكاوى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، مكتب الاردن، عمان، ط1، 2013، ص ص 459-460
- (2) الثقافة البصرية: هى القدرة على فهم واستخدام الصور بما فى ذلك القدرة على التفكير والتعلم والتعبير عن الذات باستخدام هذه الصور بمنتهى الابداع وتأتى أهمية الثقافة البصرية والتفكير البصرى بمعرفة الأسباب الجوهرية التى تنمى الإبداع، وقد بنيت الثقافة البصرية على ثلاث نظريات هى التفكير البصرى، التعلم البصرى، الاتصال البصرى وجميعها تساعد فى كشف المعنى والمضمون، فمثلا التفكير البصرى هى: تنظيم الصور المرتبطة بالأشكال والخطوط والألوان، والتعلم البصرى: هو التعلم من خلال البصريّات، الاتصال البصرى هو: استخدام الرموز البصرية للتعبير عن الأفكار وتوضيح المعانى.

ومما يجدر الإشارة إليه ان الحاجة لبلورة مفاتيح القراءة البصرية ليست ملحة فقط لدورها في منح الفن الإسلامي ما يستحقه من فهم وتوصيل، بل لدورها في مسائل تأصيل الهوية والذات الثقافية والروحية، التي باتت من المسائل الملحة في عصرنا الراهن الذي سادت فيه التغريب والعولمة والدوران في فلك الآخر، وبالتالي يكون التفكير البصري في العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية مرتبطاً تماماً بدراسة فن التصوير الإسلامي⁽³⁾. - الذي يعد أحد أهم الفروع الهامة في الفنون الإسلامية -، مما يسهم ذلك في بعث رؤى تفسيرية جديدة لفتح آفاق لدراسات مستقبلية متنوعة بشأن هذا المجال.

وسوف يسهم عرض ودراسة العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية المنفذة على التحفة المعدنية التي نحن بصدها في إبراز وتحديد المعالم والأسس التي ينبغي تحقيقها عند بناء الصورة وكيفية معالجة التغيرات الفنية وتوظيفها في بناء تكوينات مختلفة لتحقيق الأسس العامة؛ ولتكوين الصورة وتنمية الإحساس بالقيم الفنية؛ لتكوين الثقافة الفنية لدى متلقيها، وبالتالي تصبح الصورة مدخل؛ لتدقيقها والإرتقاء بالذوق العام وثرأه.

هدف البحث

الكشف عن المناظر التصويرية والعناصر الزخرفية المتعددة، والتي لها أهمية قصوى في التعرف على مظاهر الحضارة الإسلامية القاجارية إذ تعكس جوانب مختلفة من الحياة الدينية والفنية، وتعطى لمحة قيمة عن الحياة الإجتماعية والفكرية السائدة في ذلك العصر؛ لذلك تم التركيز على قراءة بصرية شاملة من خلال لغة الشكل المرسوم على التحفة بغية تطوير مهارات الإتصال ومهارات التفكير الإبداعي والمنطقي في مجال فن التصوير الإسلامي، وهذا ما يتوافق مع المحور الثالث من محاور المؤتمر الموقر الذي اشتمل على خصائص الفنون الإسلامية ومظاهر التفاعل الإبداعي مع الثقافات العالمية والتقدم التكنولوجي.

أهمية البحث

للمزيد انظر: فرانسيس دواير، ديفيد مايك مور: الثقافة البصرية والتعلم البصري، ترجمة نبيل جاد عزمي، ط2، مكتبة بيروت، القاهرة، 2015

(3) فن التصوير: الأساس (صور) فن تمثيل الأشخاص والأشياء بالألوان، والتصوير كلمة مشتقة من الفعل صار، وصور الشيء: جعل له صورة وشكلاً ورسمه ونقشه. والتصوير (الجمع) تصاوير: التمثال. (المنجد: في اللغة والكلام، ط4، دار المشرق، بيروت، 1986، ص 375)، والتصوير أو النقش له معنيان، الأول (إحداث شكل ممثل بطريقة من الطرائق الخاصة بالفنون نحو الرسم والنحت. والثاني تلوين الشكل الممثل. وكلا المعنيين مستعمل في القديم وفي الحديث على السواء. وفي القديم: التصوير بمعناه الأول مشهور، متداول في كتب الحديث والفقهاء خاصة...ومن الشواهد على المعنى الثاني في القديم أيضاً قول ابن المقفع في كتاب كلبلة ودمنة (ص52): "ولينقع بذلك (الغرض من الكتاب وهو كثرة الإنتاج) المصور والناسخ ابدأ. (فارس بشر: سر الخلافة الإسلامية، مطبعة العهد الفرنسي، القاهرة، ب.ت، ص32)، وبعد الاطلاع على التعاريف السابقة للتصوير، فيمكننا ان نعرفه اصطلاحياً: هو فن تمثيل الأشكال بوساطة عناصر التكوين الفني من خطوط وألوان وفراغات لتكوين صورة وشكل معين لها وفق رسوم التحف التطبيقية.

بما أن الهدف من البحث هو ايجاد أدوات تحليلية بصرية فاعلة ذات مقومات روحية وفكرية وجمالية مختزلة في علامات ودوال ودلالات بصرية فنية قام الفنان بتوظيفها في عناصره الفنية ومناظره التصويرية؛ لذا اهتم البحث ليجيب على التساؤلات الآتية:

- كيف يمكن ان تعزز آليات الإرتباط بين العناصر الفنية والمناظر التصويرية في نتاجات الثقافة البصرية في مجال التصوير الإسلامى ؟
- هل استطاع الفنان توظيف زخارفه ورسومه بحيث يكشف عن الغرض الجمالي والوظيفي والقيم الفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر؟
- هل ساهم هذا البحث في إرساء أسس علمية لمعرفة بنية العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية في ذلك العصر؟

منهجية البحث

ركزت منهجية البحث حول المحاور التالية:

- المقدمة
- تمهيد ويشتمل على تعريف التحفة وأهميتها وطرق صناعتها وأساليب زخرفتها
- الدراسة الوصفية
- الدراسة التحليلية
- الخاتمة والنتائج
- توصيات